Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واكتشافه لها حيّاً وحجراً حجراً، وسيوجز مراهقته فيها، حيث لأول مرة "كانت هناك الفتيات الشهيات أراهن في كل مكان كالسائرات في حلم لا آخر له. أم أنني أنا الذي كنت معهن كالسائر في حلم؟".

وهكذا يخرج الكاتب عما اختطّ ويصل إلى ثورة 1936 وموت شقيقته الطفلة وبداياته في الكتابة والترجمة والعمل في التعليم، بعد أن يتابع ما طرأ لأبعاد الرسم والموسيقى والقراءة.

لقد بات الطفل جبرا ليلة الرسامة في القدس قبل الانتقال النهائي إليها.وفي تلك الفترة كانت الرحلة المدرسية إلى جبل خريطون حيث تاه في المغارة كماتاه في القدس. وإذا كانت تجربة العطش حتى شفا الموت، وتجربة المتاهة حتى شفا الرعب، في تلك الرحلة المدرسية، ستتركان في النفس والذاكرة أثراً عميقاً، فإن القدس ستكوّن شخصية جبرا،مثل بيت لحم والقراءة والرسم والموسيقى. وبعبارة أخرى، ستكوّن الثقافة وفلسطين شخصية جبرا، وهو الذي يردد في مقدمة (البئر الأوى) قول وردز ويرث: الطفل هو والد الرجل.

***

هكذا حفلت (البئر الأولى) بحكايات ومفارقات الطفولة وعناءها، كما حفلت بإضاءات من يروي سيرة هذه الطفولة لمحيطها. ولسوف يتابع الكاتب أشتات سيرته التالية في (شارع الأميرات). فيرفد مكتبة السيرة الذاتية العربية بإضافتين متميزتين وهامتين تلحان علينا بتحية النحاتة هايدي لويد زوجة الآثاري الشهير سيتون لويد، والتي رمت ببذرة السيرة الذاتية في نفس جبرا مبكراً، إذ سألته أن يحدثها عن حياته، فأحال الأمر على المستقبل، فقالت: إذن أنتظر أن أقرأ سيرتك الذاتية يوماً. وها قد جاء اليوم الموعود الذي يحضر فيه جبرا رغم الغياب– الموت.

■ *الهوامش:*

1 – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986.